

في المجتمعات الأوروبية من تغيرات وتحولات من مجتمعات تجارية الى مجتمعات صناعية، كان له تأثير في أوضاع اليهود في أوروبا، فجنوا ثمار الانقلابين، التجاري والصناعي، وعانوا من المشاكل الناجمة عنهما. كما كانت هذه التحولات الاجتماعية التي عرفها المجتمع الاوروبي هي المسؤولة عن ظهور المسألة اليهودية. وكما عرف اليهود الاضطهاد الأوروبي، فقد حصلوا على حقوق الانسان والمساواة، في بعض الفترات، خاصة في أعقاب الثورة الفرنسية وأعلان دستور ١٧٩٣. وجاء الحل الصهيوني للمسألة اليهودية من خلال الحركة الاستعمارية العالمية، والتي اصبحت الصهيونية جزءاً منها، وليس لديها مقدمات الاستقلال أو حرية الحركة بعيداً من الحركة الاستعمارية. وإذا كان الحل الصهيوني السياسي عرف منذ مؤتمر بازل، العام ١٨٩٧، ونشاطه يرتزل، فقد وجد، قبل ذلك، ما عرف بالصهيونية غير اليهودية، «صهيونية الاغيار» أو الصهيونية المسيحية؛ وهي حركة الاسترجاع المسيحية التي كانت تطالب باعادة اليهود الى أرضهم حتى يتسنى الاسراع في تحويلهم الى المسيحية. ولأن الأفكار الدينية لا توجد بمعزل عن التحولات الاجتماعية، فليس من الغريب ان الحركات الاسترجاعية في أوروبا قد انتعشت في القرنين، السادس عشر والسابع عشر، عصر التجارة والاستكشافات الجغرافية وعصر الاستعمار التجاري. ثم وصلت ذروتها في القرن التاسع عشر (عصر الامبريالية) وتزايدت الحمى الاسترجاعية، خصوصاً في بريطانيا، بسبب ظهور المسألة الشرقية والمطامع الأوروبية في وراثة الامبراطورية العثمانية. وبدأ رجال السياسة الأوروبيون ينظرون الى فكرة عودة اليهود الى صهيون على انها وسيلة لطرد الاتراك من الشرق الاوسط<sup>(١)</sup>. وبما ان الاسطورة الدينية تتكيف مع الواقع الاقتصادي، والتاريخي، فاننا نجد انها تتحول من مجرد فكرة دينية تؤكد على عودة اليهود الى فلسطين لتحقيق النبوءة التوراتية، لتصبح برنامجاً استعمارياً يؤكد عودة اليهود الاستيطانية لفتح الأسواق وحماية المصالح الاستعمارية وتنفيذ المخططات الاستعمارية.

### نداء نابليون

عندما كان نابليون بوناپرت يقوم باعداد حملته على مصر، وفلسطين، انتشرت رسالة موجهة الى يهود العالم انتشاراً واسعاً في أوروبا، دعتهم الى انشاء مجلس يمثلهم كي يتفاوض، باسمهم، مع الحكومة الفرنسية، من أجل «اعادة» فلسطين الى الشعب اليهودي. وكانت الرسالة موجهة الى «الاخوان في الدين»؛ الا انها لم تحمل اي توقيع، لان الحكومة الفرنسية كانت وراء اصدارها، كما أشار الى ذلك ناحوم سوكلوف. وجاء في الرسالة، التي اصدرت العام ١٧٩٨: «ان البلاد التي نقترح احتلالها سوف تضم (وذلك يخضع للترتيبات التي تراها فرنسا مناسبة) مصر السفلى، بالاضافة الى منطقة تمتد حدودها على خط يسير من عكا الى البحر الميت، ومن الطرف الجنوبي الى البحر الأحمر. ان هذا الموقع المتفوق على ما عداه، والمتميز عن سائر المواقع في العالم، سوف يجعل منا، حين نمخر عباب البحر الاحمر، اسياد تجارة الهند والجزيرة العربية وجنوب افريقيا وشرقها والحبشة (اثيوبيا)... ان الاقتراب من حلب ودمشق سوف يسهل تجارتنا مع بلاد فارس؛ ومن طريق البحر الابيض المتوسط نستطيع اقامة الاتصالات مع فرنسا واسبانيا وايطاليا وسائر انحاء القارة الأوروبية. ان بلادنا الواقعة... في مركز الوسط في العالم، سوف تصبح مركزاً تجارياً لتوزيع السلع من كل المنتجات الغنية والثمينة على سطح الكرة الأرضية»<sup>(٢)</sup>.

وقد اصدر بوناپرت نداءً الى اليهود: الأول بمجرد وصوله مصر العام ١٧٩٨، والذي حث فيه جميع يهود آسيا وافريقيا على الالتفاف حول رايته، من أجل اعادة «مجدهم الغابر» واعادة